بأن يبعث إليه بأربعة وعشرين ديناراً أخرى[1].

فرجل يفرض له المنصور عطاء على كل هاشمي لا بد أن يكون محبوباً لديه، مقرباً عنده. ولم لا يقرب المنصور أبا دلامة وهو لا يستريح إلى مخادمة أحد سواه، بل يضحك لدعابته في أدق الظروف؟

توفيت حمادة بنت عيسى وحضر المنصور جنازتها. فلما وقف على حفرتها قال لأبي دلامة: ما أعددت لهذه الحفرة؟ قال: يبقى عمرك يا أمير المؤمنين حمادة بنت عيسى يجاء بها الساعة فتدفن فيها! فضحك المنصور حتى غلب فستر وجهه[2].

وما أظنك إلا ضاحكا مع المنصور لو سمعت من أبي دلامة مثل هذا الجواب الذي يدل على بديهة حاضرة، ونكته سريعة، لا يستطيع صاحبها أن يظلها حتى في أحرج المواقف.

ومثل هذه الطلاقة في الرد والسهولة في الجواب تستطيع أن تفرق بين نكتتين إحداهما متكلفة مصطنعة، والأخرى صادرة عن طبع وملكة. وأنت نفسك إذا سمعت النكتة الباردة — أو التي يسمونها «بايخة» — رفضتها وضجرت من سماعها ونبا عنها ذوقك، وإن أنت سمعت النكتة الموفقة المحكمة أدركت حلاوتها فضحكت لها من صميم قلبك، لأنك تحس فيها روح الفطانة كما تحس في الشعر الرفيع عبقرية الإلهام، فتنتقل من عالمك الصغير المحدود، إلى عالم الجمال والخلود!

(يتبع) صبحي إبراهيم الصالح

(١) الأغاني ج ١٠ ص ٢٥٦ وقيل إن هذه القصة كانت مع علي ابن صالح بن علي

(٢) الأغاني ج ١٠ ص ٢٦٢

يظهر قريباً

المجلد الأول من الطبعة الثالثة من كتاب

وحي الرسالة

وداع مصر...

للشاعر الكبير الأستاذ محمد علي الحوماني

جددي يا مصر... فينا الخيلاء ... تخيف الأرض وتختال السماء
«المز» اختال في كل حشا ... من بنيك الشوس، عزما وإباء
منذ كان «النيل» كانت «مصره» ... جنة تطمع بشراً ورواء
وعلى شطيه من كل فم ... درة تضوي على الفجر الضياء

يا لماء النيل ما أسمره! ... في شرايينك ناراً لا دماء
تنشدين المجد من عبقره ... زاحفاً جيشاً، وخفاقاً لواء
كل قرم قذفت «مصر» به ... لم يخر عزما ولم ينكل مضاء
سل فلسطين به إذ رخصت ... عندها الأنفس بيعاً وشراء
في سبيل الحق من أمته ... نبذ الفردوس واختار العراء

يا لمرأى النيل، ما أروعه ... تحت أفيائك صبحاً ومساء
يا لأفق النيل ما أحفله ... بالمنى منك خلوصاً وصفاء
بالوشى النيل ما أبهجه ... فوق إعطافك ظلا لا رداء
يا لصوت الفن ما أعذبه ... في فم النيل خريراً لا غناء
كلما أمعنت في تحليله ... هزني السحر وعفت الكيمياء
ذهب سال فأجرى ثمراً ... لفظ الشمس، ومج الكهرباء

بالماء النيل. ما أنضره ... في وجوه الغيد، لوناً لا طلاء
شفق ذاب على كل فم ... فخلا الكأس وحيا الندماء
وبدا خلف الماآقي حوراً ... يرصد النجم ويصطاد الظباء
وعلى المعصم من كل يد ... أقمواناً يتحدى السقماء

هذه «مصر» وهذا نيلها ... خصنا الله بما شاءت وشاء
شرف من عهد «خوفو» لم يزل ... يخلع الدهر عليه الكبرياء
تقف الدنيا على أبعاده ... فتغض الطرف أو تنفي حياء
وجمال يحلم «السين» به ... فيرى «باريس» أن لا تتراءى
فتنها من «مصر» أفق لم تفت ... أوجه الأقمار صيفاً وشتاء
وعلى ضاحية النيل رؤى ... تذهل الرائي أماماً ووراء

برد النرجة والماء معاً ... كتبل الخلق رجالا ونساء
فقبيل حال منهم بشراً ... وقبيل لم يزل طيناً وماء
فبنات القصر يكرعن الطلا ... وبنات الكوخ يشددن الوكاء
مشهد إن شئت أعواك وإن ... شئت أشجاك بما سر وساء

يا ماء النيل ، ما أعرفه !! ... في الدم المصري ، حذقاً ودهاء
عالجوا الحكم فسادوا ساسة ... ورعوا الفن فسادوا أدباء
وبنو الأزهر إذ قادوا بنا ... للهدى ، بروا فكانوا حنفاء
لغة القرآن عزت بهمو ... فشروا فيها إلى الله ظماء
ينشدون الحق فيما كتبوا ... أبعد الناس ، خداعاً ورياء
عهد الفن إلى أقلامهم ... بأمانيه فكانوا أمناء
لا يريم الخلد عن ساحتهم ، ... وعلى الأهرام ، باثوا خفراء

يا ماء النيل ، ما أحقله !! ... بالهم الغائر خوفاً ورجاء
يشق الزاف فيما يشق ... ويرجى من بنيه المخلصاء
حكمة أفضت به عن كثب ... أن يري الماء ويختار الدواء
لم أجد في بلد أنظمة ... قام أهلوه عليها حكماء
ورأيت النيل يحمي بلداً ... سادت الحكمة فيه الرؤساء
رب شخص أو شخوص مئيت ... بعم مصر ، فكانوا دخلاء
بيد أن النيل لم ينبت على ... ضفتيه شجر شر داء

يا ماء النيل ، ما أطهره ... في الدم المصري عطفاً وإخاء
كن كما شئت ، ولكن سلماً ... عربياً ، تنل « النيل » جزاء
يحسب النازل فيهم أنه ... وطني وبراهم غرباء
هكذا أغرق فيهم خلق ... حال في الأعراق نبلا ووفاء
لم أقف منهم على غير يد ... تعطر الدنيا عفافاً وسخاء
لطفت في يد من لا طفها ... وجفت في يد من أولى الجفاء

إيه : يا مصر ، على أي يد ... لك عندي ، أبت الشعر ثناء ؟ ؟
كم جديد حفل الغرب به ... طبق الدنيا له الأرض فداء
لم يؤوني منه إلا أسف ... كلما خاطرني زدت استياء
كل زهر نغمت عيني به ... لم يهب روحي من السحر غذاء
وجمال صبت النفس له ... لم أجد فيه من الروح شفاء
وغناء وعت الأذن به ... لم يجد عندك به السمع غناء
ولدى أن همست روح الصبي ... بين جنبي تنسمت الهواء
وعرفت السر في الزهر الذي ... وهب الصب له القلب وماء
ومن روضك في «أندلس»[1] ... يحسد النجم عليه الظرفاء
هو في «الندوة» حيث انتقدت ... شهب الندوة من «عين ذكاء»[2]
هو في «الجيزة» روض وشمت ... حبب الكأس لياليه الوضاء
سر هذا الزهر عطر لبست ... ضفة النيل به هذا الكساء
وجمال هو في كل دم : ... حركات تستخف الشعراء

هذه مصر وهذا نيلها ... تنعم الدنيا بها مما أفاء
هذه « نوبرك » لم تبطر ولم ... يثبط العقل عليها الرقعاء
ناطحات السحب فيها هممٌ ... شمخت عزاً ولم تشمخ بناء
إنها « نوبرك » لم تعمل بها ... يد إسرائيل كيداً وبناء

هذه « لندن » لم تطغ ولم ... يعلك البغي عليها النبلاء
كانت الدنيا . فلما عبثت ... يد « صهيون » بها عادت هباء
وستلقى ضعف ما ألقت على ... جيرة « الأردن » ذلا وشقاء

هذه « باريس » لم تخسف ولم ... تبذل العرض من الخسف وفاء
تنشد القوة لم يعصف بها ... زوان يسترق الضعفاء
هذه الدنيا يرى السعد بها ... حسن الناس ويشقى من أساء

أي مستقبل عز باظفر ... لك يا مصر . يناديك النجاء !
عجب الدنيا تفديك بما ... لم تجد إلا لك الدنيا فداء
نحن يا مصر ، بنو الصيد الأولى ... فتحوا غلباً وسادوا رحماء
لا ترى في قول من ينعتنا ... أننا محرج الوفاء ، إلا افتراء
لم تروم « دجلة » عن نصرتكم ... في « فلسطين » ولم تعجم عداء
البلاء المر في « أهرامنا » ... لم يزل في « بابل » ذاك البلاء[3]
لا يرد الغرب عن إجرامه ... أن يرى منا خصوماً شرفاء
غمة لا تنجلي عالم تعد ... مرة أخرى فزاة رعناء

(صيف مصر ١٩٤٩)

محمد علي الحوماني

---

(١) هي حديقة الأندلس في الجيزة .
(٢) عين ذكاء هي عين شمس أي مصر الجديدة حيث تلتئم الندوة الأدبية التي انتخبت الناظم عضواً فيها .
(٣) كني الشاعر بالأهرام عن مصر وببابل من العراق .